﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ [يوسف: 13]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أبناءٌ يَكيدون، وأبٌ يخافُ على ولده

جاءتِ الآيةُ جوابًا لطلبِ إخوةِ يوسُفَ من أبيهم أنْ يرسلَ معهم أخاهم ليرتعَ ويلعبَ، مُؤكِّدين حرصَهم وحفظَهم ونُصحَهم له، بعد أنْ دبَّروا مكيدةَ التَّخلّصِ منه؛ إذ أجابهم بما زاد صدورَهم توغّرًا؛ لأنَّ ما قالوه له بحيث يُسَرُّ بهِ لِسرورِ يوسفَ عليه السلام به، لكنّه قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَيَحْزُنُنِي﴾: أصلُ (حزن) يدلُّ على خُشُونَةِ الشّيءِ وشِدَّةٍ فيه، ومنه ما غلُظَ منَ الأرض، والحُزْنُ معروفٌ[2]، وهو خلافُ السّرور، وحَزِنَ الرّجلُ بالكسر فهو حَزِنٌ وَحَزينٌ[3]، والحُزْنُ: الغَمُّ الحاصِلُ لوقوعِ مَكْرُوه أو فَواتِ مَحْبوبٍ في الماضِي[4]، وعرّفه الراغبُ بأنّهُ: خشونةٌ في النّفس لِما يحصلُ فيه منَ الغمِّ، ويُضادُّه الفرحُ، والنّهيُ عنِ الحُزن ليس عن تحصيلِه، وإنّما هو عن تعاطي ما يُورثُ الحزنَ واكتسابَه؛ لأنّ الحُزْن ليس يحصلُ بالاختيار[5].

ومعنى ﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ في الآية: أنّ ذهابَهم به ومفارقتَه إيَّاه ممَّا يُحزنُه؛ لأنَّه كان لا يصبرُ عنه ساعةً[6]، وهو ألمُ القلب لفراق المحبوبِ[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/27.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(3) الجوهري، الصحاح: (حزن).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (حزن).
(5) الراغب، المفردات: (حزن).
(6) الزمخشري، الكشاف: 2/448.
(7) البغوي، معالم التنزيل: 2/479، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/218، والمراغي، تفسير المراغي: 12/119.

2) ﴿وَأَخَافُ﴾: أصلُ (خوف) يدلُّ على الذُّعرِ والفزعِ، يُقال: خِفْتُ الشَّيءَ خَوْفًا وخِيفَةً[1]، والخَوْف: توقّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، ويُضادُّه الأمنُ[2]، والخوفُ فيه قلقٌ واضطراب، ويُعبّر عنه بالجَزع[3].

والمعنى في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ، وهو ألمُ النّفسِ ممّا يُتوقعُ من مكروهٍ قبلَ أنْ يقعَ[4].

3) ﴿يَأْكُلَهُ﴾: أصلُ (أكل) يدلُّ على التّنقّص، والأكلُ معروفٌ، والمأْكَلُ ما يُؤْكَلُ كالمَطعَم، والمُؤكَلُ المُطعَم، وأَكيلُ الذِّئبِ: الشَّاةُ وغيرُها إذا أَرَدتَ مَعْنَى المَأْكولِ[5]، والأُكْلَةُ: الطُّعْمَةُ، والأَكْلُ: إيصالُ ما يُمضَغُ إلى الجَوْفِ، أو بَلْعُ الطَّعامِ بَعْدَ مَضغِه[6].

ومعنى ﴿يَأْكُلَهُ﴾ في الآية: يختطفُه الذّئب فيفترسُه[7].

4) ﴿ٱلذِّئْبُ﴾: أصلُ (ذأب) يدلّ على قلّةِ استقرارٍ، وألّا يكونَ للشّيءِ في حركته جهةٌ واحدةٌ، من ذلك الذِّئْبُ سُمِّيَ بذلك لِتَذَؤُّبِهِ من غيرِ جهةٍ واحدةٍ[8]، أي يأتي في هجومه مَرَّةً من هنا ومرّةً من هنا، إذا حَذِرَ مِنْ وجهٍ جاء من آخرَ، فأخذَ اسمَه من هجومه على الغنم ونحوِها[9]، والذِّئْبُ: كَلْبُ البَرِّ، والأُنْثَى ذِئبةٌ[10]، والجمعُ أَذْؤُب، وذِئَاب، وذُؤْبَان، وذَؤُبَ الرّجلُ: صار كالذِّئب خُبْثًا ودَهَاءً[11].

ومعنى ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ في الآية موافقٌ لمعناه اللُّغويِّ، فهو الذّئب المعروفُ، وهو كلبُ البَرّ.

5) ﴿غَٰفِلُونَ﴾: الغين والفاء واللّام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تركِ الشّيءِ سَهوًا، وربَّما كان عن عمْدٍ، ومنه غَفَلْتُ عنِ الشَّيء: إذا تركتَه ساهيًا، وأَغْفَلْتَه: إذا تركتَه على ذُكْرٍ منك

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوف).
(2) الراغب، المفردات: (خوف).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خوف).
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/218، والمراغي، تفسير المراغي: 12/119.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أكل).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (أكل).
(7) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/219.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذأب).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذأب).
(10) الخليل، العين: (ذأب).
(11) الزبيدي، تاج العروس: (ذأب).

له[1]، والغَفْلَةُ: فَقْدُ الشُّعورِ بما حَقُّه أَنْ يُشعَرَ به، وهو أيضًا الذّهولُ عنِ الشَّيء، وَقيل: متابَعةُ النَّفْسِ على ما تشتهيه، وغَفَلَ الشّيءَ: سَتَرَه[2]، والغفلةُ: سَهوٌ يعتري الإنسانَ من قلّةِ التّحفّظ والتّيقّظ[3]، والغفلةُ: غيبةُ الشّيء عن بالِ الإنسان، وعدمُ تذكُّره له، وقد استُعملَ فيمن تركه إهمالًا وإعراضًا[4].

ومعنى ﴿غَٰفِلُونَ﴾ في الآية موافقٌ لمعناه اللّغويِّ، أي ساهون عنه لاشتغالِكم بالرّتعِ واللّعبِ، أو لقلّةِ اهتمامِكم برعايتِه وحفظِه[5].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حُـزنٌ يَشوبُه خـوفٌ من صحراءَ مَذْأبةٍ، وإخوةٍ حَسَدَةٍ

أجابَ يعقوبُ أبناءَه الَّذين أرادوا أخذَ أخيهم يوسفَ، واعتذرَ إليهم بأنَّه يُحزنُه أنْ يذهبوا به إلى الصّحراء؛ مخافةً عليه منَ الذئب أنْ يأكلَه، وهم عنه غافلون مُنشغلون[6]؛ إذ كان يوسفُ حينئذٍ غلامًا صغيرًا، والذِّئابُ تجترئُ على الَّذي تُحِسُّ منه ضعفًا في دفعِها ومقاومتِها[7].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### سِرُّ فصلِ جملةِ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ عمّا قبلَها:

طلبٌ فيه مَكرٌ، وجـوابٌ فيه حُـزنٌ وخـوفٌ مُكلّلٌ برحمةٍ وشفَقةٍ

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ بين الجُملتَين ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ و﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾، ولم يأتِ بينَهما بعاطفٍ لِما بينهما من شبْهِ كمال اتّصالٍ؛ إذِ الجملةُ الثّانيةُ استئنافٌ بيانيٌّ للأولى، وكأنّ سائلًا بعد أنْ سمع مقالتَهم ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: فماذا قال أبوهم لهم؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (غفل).
(3) الراغب، المفردات: (غفل).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (غفل).
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/257، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 7/327.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 15/573.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/230.
(8) الآلوسي، روح المعاني: 8/451.

ولكوْنِ الآيةِ جاريةً على طريقةِ المُحاوَراتِ[1]، أي إنَّ قولَ يعقوبَ ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ جوابٌ على قولِ أبنائه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾، أيْ فَصَلَ الجوابَ ولم يعطفْ بالفاءِ أوِ الواو؛ كراهيةَ تكريرِ العاطفِ بتكريرِ أفعالِ القولِ، فإنّ المحاورةَ تقتضي الإعادةَ في الغالبِ[2].

**فائدةُ حرفِ (إنَّ):**

جوابٌ فيه تأكيدٌ وقطعٌ لطلبٍ فيه إلحاحٌ وتَكرارٌ

جاءَ البيانُ القرآنيُّ بحرفِ (إنَّ) الَّتي تفيدُ التَّأكيدَ في قولِه: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ﴾؛ لكي يقطعَ طلبَهم الملحَّ والمؤكَّدَ والمتكرِّرَ بأنْ يذهب معهم يوسفُ؛ فأكدَّ لهم أبوهم أنَّ حُزنَهُ ثابتٌ لا يستطيعُ أنْ يفارقَ ابنَه، تنزيلًا لهم منزلةَ من يُنكرُ ذلك؛ إذ رأى إلحاحَهم وتكرّرَه، وعبَّر معه بالحزن؛ ليصرفَهم عنِ الإلحاح في طلب الخروج به؛ لأنَّ شأنَ الابنِ البارِّ أنْ يتّقيَ ما يُحزنُ أباه، واستمرَّ هذا التَّأكيدُ إلى قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[3].

**التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾:**

الـحُـزنُ يبقَى أثرُهُ في النَّفسِ، ويـلازمُ يعقوبَ فلا يفارقُه

عبَّرتِ الآيةُ القرآنيَّةُ عنِ الحُزنِ بالفعلِ المضارعِ فقال: ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾، واختلفَ نظرُ المفسِّرين في ذلك على قولين:

الأوَّلُ: الفعلُ المضارعُ ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ للحالِ، وليس للاستقبالِ، على تقديرِ: إنّي ليحزنني الآن قصدُكم أنْ تذهبوا به، والقصدُ متحقِّقٌ حالًا وكذا الحُزنُ[4]، وذلك لأنّ لامَ الابتداء إذا دخلتْ على المضارعِ تُخلّصُه لزمنِ الحال، يقول الزّمخشريُّ: "ودخولها - أي لامُ الابتداء - أحدُ ما ذكره سيبَوَيْه من سببَي المُضارعة"[5].

الثَّاني: أنَّ المضارعَ هنا يُعطي معنى الاستقبال لا الحالِ؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/230.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/401.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/232.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 10/268.
(5) الزمخشري، الكشاف: 2/448.

المضارعَ إذا أُسندَ إلى متوقَّعٍ تخلَّصَ للاستقبال، فالذَّهابُ لم يقع بعدُ، ومن ثَمَّ الحزنُ لم يقعْ، فالحزنُ نتيجةٌ وأثرٌ لذهابِهم به، وهو المسبّبُ لأثرِه، فمحالٌ أنْ يتقدَّم الأثرُ عليه، كما قيل:

يَهُولُكَ أَن تموتَ وَأَنت مُلْغٍ *** لما فِيهِ النّجَاةُ منَ العَذَابِ[1].

ولو أُريدَ به الحالُ للَزم سبقُ الفعلِ للفاعلِ في الوجود وهو محالٌ[2].

وممّا يؤكّدُ إفادةَ الاستقبال أنَّه عبَّرَ بلفظ الحُزن ﴿لَيَحۡزُنُنِيٓ﴾ دونَ غيرِه؛ لأنَّ الحزنَ يبقَى أثرُه في النَّفس، ويلازمُ يعقوبَ فلا يفارقُه، فجاءَ الفعلُ من حيث الصّيغةُ ومن حيث الزّمانُ مناسبًا ودالًّا على مقصود يعقوبَ عليه السلام وحالِه.

### سِرُّ إيثارِ المصدرِ المؤوَّل، والعُدولِ عنِ المصدرِ الصّريحِ:

المصدرُ المؤوَّلُ ﴿أَن تَذۡهَبُواْ﴾ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ للفعل ﴿لَيَحۡزُنُنِيٓ﴾، والتّأويلُ: إنّي ليحزنني ذهابُكم، وقد آثرَه النَّصُّ القرآنيُّ؛ ليُعطيَ معنى التَّأكيدِ ومعنى ملازمةِ الحزن لذهابِهم به، ولو كان أدنَى ذهابٍ، ولو أخذَ وقتًا قصيرًا أو مسافةً قصيرةً، فالفعلُ يُعطي قوّةً في المعنى ويجعلُه أنسبَ وأقربَ، ليدلَّ على كلّ ذهابٍ؛ فهو يفيدُ التَّجدّدَ والحدوثَ والاستقبالَ، بخلاف الاسْمِ (ذهابكم) الَّذي لا يكونُ معه الحزنُ إلَّا بتحقُّقِ كاملِ الذّهاب[3].

أيُّ ذهابٍ بيُوسفَ عليه السلام هو حزنٌ وكربٌ لأبيه

### اختيارُ لفظِ ﴿وَأَخَافُ﴾ في السياقِ:

عبَّر القرآنُ الكريمُ بالخوف؛ لأنَّه يدلُّ على ما يُخاف وقوعُه من كلِّ مكروه في وقتٍ يأتي في المستقبل، فالخوفُ يكونُ لِما يُستقبلُ، بخلافِ الحُزن الذي يكونُ على ما فات ومضى[4] من فقدِ محبوبٍ أو وقوعِ مكروهٍ[5]، ولهذا أُسْنِد الحزنُ إلى الذّهاب به المُفوِّتِ لاستمرارِ

خوفُ يعقوبَ يَحكي شُعورًا بالقلقِ وعدمِ الطُّمأنينة على يوسفَ لِما قدْ يُصيبهُ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/246.
(2) السيوطي، همع الهوامع: 1/39.
(3) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 2/295.
(4) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 279.
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/214.

مصاحبتِهِ ومُوَاصلتِه ليوسفَ، وأُسْنِد الخوفُ إلى ما يُتوقّع نزولُه ممّا لم يقع، وهو أنْ يأكلَه الذِّئبُ[1].

**استعمالُ المصدرِ المؤوَّل ﴿أَن يَأْكُلَهُ﴾:**

في المصدرِ المؤوّلِ تقويةٌ للمعنى، وتأكيدٌ على شدّة خـوفِ يعـقـوبَ على يوسفَ

المصدرُ المؤوّلُ ﴿أَن يَأْكُلَهُ﴾ في محلِّ نصبٍ مفعولٌ به للفعل ﴿وَأَخَافُ﴾، وتأويلُه: (وأخافُ أكلَ الذئب له)، وقد استَعملَ البيانُ القرآنيُّ المصدرَ المؤوّلَ هنا؛ ليُتيحَ صلاحيةَ الكلام لإفادةِ اعتباراتٍ من شأنِها أنْ تقوّيَ المعنى، وهو شدّةُ الخوفِ، أو تجعلَهُ أنسبَ للمقام؛ وهو عدمُ الشّعورِ بالطّمأنينة تجاه إخوتِه الذين إنْ لم يُلحقوا به الأذَى المباشرَ فسيُلحقونَه بإهمالِهم ليوسفَ، ممّا قد يعرّضُه لهذا الخطرِ الكبيرِ، فالمصدرُ المؤولُ هنا جعلَ الكلامَ صالحًا لدخول الفعلِ المضارعِ (يأكله) على الجملة بما أعطاها منَ التّجدّدِ والحدوثِ والاستمرارِ المُستفادِ منَ الفعل، بما يدلُّ على زيادةِ خوفٍ عند يعقوبَ ممّا لو تعرّض يوسفُ لأكلِ الذّئب، وعلى شدّة إهمالِ إخوتِه له، وهذا فيه تأكيدٌ لشدّةِ خوفِ يعقوبَ على يوسفَ ﷺ، ولو وُضِع الاسْمُ (أَكْلَه) بدلَ الفعلِ لفاتتْ هذه الاعتباراتُ[2].

**استعمالُ الفعلِ المضارعِ ﴿أَن يَأْكُلَهُ﴾ في السّياقِ:**

تـصـويـرٌ يُـبـرِّزُ خـوفَ يعـقـوبَ وربّـمـا يُـقـنـعُ الإخوةَ بالرّجوعِ عـن إصـرارِهـم بأخذِ يوسُفَ

التّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿يَأْكُلَهُ﴾ يدلُّ على زيادةِ خوفِ يعقوبَ وقلقِهِ واضطرابِه ممّا قد يَحلُّ بيوسُفَ إذا تعرّضتْ له الذّئابُ؛ وذلك من خلال أمرين:

الأوّلُ: أنّ صيغةَ المضارعِ تثيرُ في المُخيّلة تصويرَ مشاهدِ يوسفَ وهو يُؤكلُ منَ الذئاب التي من طبْعها الاحتيالُ، فإنّها إذا جرحتْ ورأتْ عليه الدّمَ ضَرَتْ به فربما مزّقتْه[3]، وخاصّةً أنّ معنى الأكل

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/257، والهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 13/330،
(2) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 2/295.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/231.

هو "تقطيعُ الطعام بالمضغِ الذي بعدَه البلعُ"[1]، وهذا التّصويرُ ربّما يحملُ إخوةَ يوسفَ على الإعراضِ عن إلحاحِهم على أخذِهِ معهُم إلى أرضٍ مَذْأبةٍ؛ لأنَّ شأنَ الابنِ البارِّ أن يتَّقيَ ما يَحزُنُ أباه، يقول البقاعيّ: "فكأنّه قيل: إنّ تلقّيَهم لمثل هذا لَعجبٌ، فماذا قالوا؟"[2].

الثاني: أنّ الفعلَ المضارع له دلالتُه الخاصّةُ؛ فهو يدلُّ على حدوثِ الشّيء بعد أنْ لم يكن، ويُعبّرُ عنه بالتّجدّدِ الحُدوثيِّ، وفي هذا إشارةٌ إلى كثرةِ ما سيتعرّضُ له يوسفُ منَ الضّررِ والأذَى منَ الذئاب التي من شأنِها، كما تقولُ العربُ أنّها إذا عضّتِ الإنسانَ وأسالتْ دمَه أنّها تَضرى حين ترى الدّمَ فتستأسدُ على الإنسان.

### بَلاغةُ التّعبيرِ عنِ افتراس الذّئبِ بالأكل:

من بلاغةِ البيانِ القُرآنيِّ، اختيارُ الأنسبِ للغرَضِ الذي فيه الكلامُ

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ الأكل بدلَ الافتراسِ، لكونِه أنسبَ مع سياقِ المَقام، فيوسفُ طفلٌ صغيرٌ لا يملكُ القدرةَ أن يُقاومَ أو يُدافعَ عن نفسه، فقد رُبّيَ في دَعةٍ، وسيستسلمُ للذّئبِ من غير حِراكٍ أو هروبٍ، ولذلك ناسبَ أنْ يَستخدم القرآنُ لفظةَ الأكل الذي هو "تقطيعٌ للطَّعام بالمضغ الذي بعدَه البلعُ"[3]، ولم يناسبِ الافتراسَ الذي هو اصطيادُ حيوانٍ لحيوان آخرَ وقتلُهُ، ودَقُّ عنقِه، وفَرَسَ الأسدُ فريستَه: صادَها وقتلَها[4]، وأصلُ (فرس) وطءُ الشّيء ودقُّه[5].

وكذلك فإنَّ حالَ يعقوبَ هو حالُ خوفٍ على يوسُفَ وتخويفٍ لإخوتِه ممّا قد يصيبُه منَ الأذَى، وصدٍّ لهم عن قصدهم، والتّعبيرُ بالأكل أشدُّ تنفيرًا للنّفس مع ما علموا من ضعْفِ يوسُفَ وصِغَرِ سنِّه.

وأيضًا فالتعبير بالأكل أنسب لسياقِ المقالِ؛ فقد ختمَ كلامَه بذكر

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/21.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/21.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/27، والزبيدي، تاج العروس: (أكل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرس).

سببِ امتناعِه عن إرساله، وهو أنّهم عن يوسفَ خاصّةً غافلون، أي عريقون في الغفلةِ؛ لإقبالِهم على ما يُهمّهم من مصالح الرّعي[1]، و"لِما يعلمُ من إمعانِهم في اللّعبِ والشّغلِ باللّهو والمسابقةِ"[2]، ولأنّ في التّعبيرِ بالأكلِ دلالةً على شدَّةِ غَفْلتِهم عنه، وتمكُّنِ الذِّئب من يوسُفَ، وتقطيعِ لحمِه ومضْغِه وابتلاعِه، دونَ وجودِ مَن يدفعُه، أو يمنعُه منَ الإخوة.

## سِرُّ تخصيصِ الذِّئبِ دونَ سائرِ الحيواناتِ المُفترسةِ:

في تخصيصِ الذِّئبِ تخويفٌ لإخوتِه، وتأكيدٌ لهم على شدّةِ خوفِه، لعلّهم أنْ يتراجعوا

ذكرَ المُفسّرون أنَّ يعقوبَ خصَّ الذِّئبَ دونَ غيرِه منَ الحيوانات لوجوهٍ:

الأوَّلُ: لِيُشعرَهم بأنَّ خوفَه عليه ممّا هو أعظمُ منَ الذِّئب توحُّشًا وافتراسًا أشدُّ وأولى[3].

الثّاني: لأنَّ الأرضَ التي عُرفوا بالنُّزول فيها كانت كثيرةَ الذِّئاب، وهي أغلبُ ما يُخافُ منه في الصّحاري، وهذا ما نُقل عن مقاتلٍ[4]، وخاصّةً أنّ ذئابَ باديةِ الشَّام كانت أشدَّ خُبثًا من بقيّة الذِّئابِ[5].

الثّالثُ: إنّما ذكرَ الذِّئبَ لصِغرِ يوسُفَ، والذِّئابُ تجترئُ على الَّذي تحسُّ منه ضعفًا في دفعِها، والذِّئبُ إذا استطاعَ أنْ يعضَّ إنسانًا، وأنْ يُسيلَ دمَه فإنَّه يُضرَى ويستأسدُ، وإذا اجتمع معه سربٌ منَ الذِّئاب فإنَّه يصبحُ أشدَّ خطرًا على الواحد منَ النَّاس، وعلى الشّيخ الهرِم والصّبيِّ الصَّغير[6].

الرّابعُ: أنَّه خافَ عليه منهم، وكنّى بالذِّئبِ عنهم، فخوفُه إنّما كان من قتلِهم له، فكنَّى عنهم بالذِّئب مُساترةً لهم، قال ابنُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/27.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/231.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/246، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 7/327.
(4) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/418.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/230.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/230.

عباس ﷺ: (فسمَّاهم ذئابًا)، وقيل: ما خافَهم عليه، ولو خافَهم لَما أرسلَه معهم[1].

الخامسُ: أنَّه رأى في المنام أنَّ ذئبًا كان يعدو على يوسفَ فأنجاه بنفسِه، وهذا ما نقلَه أبو صالحٍ عن ابن عباس ﷺ[2]، وهذا قولٌ يردُّه أنّ رؤيا الأنبياء وحيٌ، وخاصّةً أنَّ يعقوبَ كان معروفًا بتأويل الرُّؤى، وقصّةُ يوسفَ كلُّها قامتْ على الرُّؤى، فكيف يرى هذه الرّؤيا ويرسلُه.

### بَلاغةُ الاحتراسِ في سياقِ الآيةِ القرآنيّةِ:

تعليلٌ لسببِ امتناعِ يعقوبَ عن إرسالِ يوسفَ احترَسَ به عن أيّ لَوْمٍ أو عتَبٍ

أطْنبَ النّصُّ القرآنيُّ عندما ذكرَ جوابَ سيّدنا يعقوبَ لأولاده، وذكرَ سببَ امتناعِه عن إرسالِه يوسفَ معهم، فقال: ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ من باب الاحتراسِ، أي أنّ يعقوبَ ﷺ احترسَ بهذه الجملة عن أنْ يكونَ أكْلُ الذّئبِ ليوسُفَ ﷺ لضعْفِهم أو إهمالِهم أو تفريطِهم بيوسفَ، فإنّه لو اقتصرَ على قوله ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ لتُوُهِّم أنّ ذلك بسببِهم.

واحترس بذلك؛ حتى لا يدخلَ عليه لومٌ أو عتبٌ من أبنائِه بأنّهم مُقصّرون ومُعتدون، فكانت هذه الجملةُ لِتُخلِّصَه من ذلك كلِّه.

وأراد كذلك أنْ يحرّكَ فيهم مواجيدَ الأخوّةِ التي تَفترضُ ألّا يتصرّفوا مع أخيهم بشرٍّ؛ ولا أنْ يتصرّف غيرُهم معه بشرٍّ إلّا إذا غفلوا عن أخيهم[3].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الحزنُ والخوفُ:

الحزنُ غمٌّ على ما فاتَ، والخوفُ قلقٌ ممّا هو آتٍ

بين الحزنِ والخوفِ - وإنْ تشابها - فرقٌ واضحٌ لا يخفَى؛ فالحُزْنُ: الغمُّ الحاصلُ لوقوعِ مَكرُوهٍ أو فواتِ محبوبٍ في الماضِي[4]،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/140.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/418.
(3) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6878.
(4) الزبيدي، تاج العروس: (حزن).

وعرّفه الرّاغبُ بأنّهُ: خشونةٌ في النّفس لِما يحصلُ فيه منَ الغمِّ، ويُضادُّه الفرحُ[1].

وأمّا الخَوْف: الذُّعر والفزعُ[2]، وتوقّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ، أو معلومةٍ، ويُضادّه الأمنُ[3]؛ والخوفُ فيه قلقٌ واضطرابٌ، ويُعبّرُ عنه بالجزع[4].

إذن: الفرقُ بين الحزن والخوف يظهرُ من ثلاثِ جهات: **الأولى**: الحزنُ ضدُّ الفرح، والخوفُ ضدُّ الأمن والطّمأنينة، **والثّانية**: الحزنُ غمٌّ وخشونةٌ في النّفس لوقوعِ مكروهٍ أو فواتِ محبوبٍ، والخوفُ قلقٌ واضطرابٌ بسبب توقّعِ ضررٍ أو مكروه، **والثّالثة**: الحزنُ يكونُ على ما فات ومضى، والخوفُ يكونُ لِما يُستقبلُ[5].

### الأكلُ والافتراسُ:

**الأكلُ إيصالُ ما يُمْضَغُ إلى الجَوْفِ، والافتراسُ اصطيادُ حيوانٍ حيواناً آخرَ، ودَقُّهُ عُنُقَهُ**

يختلفُ معنى الأكلِ عنِ الافتراسِ ويتّضحُ ذلك من خلال الرّجوعِ إلى المعنى اللّغويِّ والاستعمالِ لكلٍّ منهما:

الأكل: الأكلُ معروف، والمأْكَلُ ما يُؤْكَلُ كالمَطعَم، وأكيلُ الذِّئْب: الشَّاةُ وغيرُها إذا أَرَدْتَ مَعْنَى المَأْكولِ[6]، والأُكْلَةُ: الطُّعمَةُ، والأَكْلُ: إيصالُ ما يُمْضغُ إلى الجَوفِ، أو بَلْعُ الطَّعامِ بَعْدَ مَضْغِه[7].

والافتراس: أصلُ (فرس) يدلُّ على وطْءِ الشّيءِ ودَقّه، يقولون: فَرَسَ عُنُقَهُ إذا دقّها، ويكونُ ذلك من دَقّ العُنُق منَ الذّبيحة، ثمّ صُيِّرَ كُلُّ قَتْلٍ فَرْسًا[8]، وفرسَ الذّئبُ الشّاةَ وافترسَها إذا قتلَها،

(1) الراغب، المفردات: (حزن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوف).
(3) الراغب، المفردات: (خوف).
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خوف).
(5) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 279.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أكل).
(7) الزبيدي، تاج العروس: (أكل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرس).

وقيل: يُقال أكلَ الذّئبُ الشّاةَ، ولا يُقال افترسَها، وفَرَس الأسدُ فريستَه: صادَها وقتلَها، والذّابحُ الذّبيحةَكسرُ عُنُقهَا قبل مَوتها[1].

إذن: الفرقُ بين الأكل والافتراس: هو: أنّ الأكلَ إيصالُ ما يُمضغُ إلى الجوف، في حينِ أنَّ الافتراسَ هو اصطيادُ حيوانٍ حيواناً آخرَ وقتلُه، ودَقُّ عنقِه.

وأنّ فعلَ الأكل يمكنُ أنْ يُنسبَ للإنسان وللحيوان، في حين أنَّ فعلَ الافتراسِ لا يُنسبُ إلّا للحيوانِ المُفترسِ.

### الغفلةُ والسّهوُ:

الغفلةُ تركُ الشّيء إهمالًا وإعراضًا، والسّهوُ سكونٌ ونسيانٌ مع غفلةٍ

هناك تقاربٌ كبيرٌ بين الغفلةِ والسّهو، ولهذا نجدُ أنّ علماءَ اللُّغة قد عرّفوا الغفلةَ بالسّهوِ، والسّهوَ بالغفلة، ولكنْ عند إمعانِ النّظرِ في معناهما اللُّغويِّ، والاستعمالِ القرآنيِّ لهما نلْحظُ بعضَ الفروق الدّقيقةِ بينَهما، وهي كالآتي:

الغفلةُ: أصلُ (غفل) يدلّ على تركِ الشّيء سهوًا، وربّما كان عن عمْدٍ، ومنه غفلتُ عنِ الشّيء: إذا تركتَه ساهيًا، وأغفلتُه: إذا تركتَه على ذُكْرٍ منك له[2]، والغَفْلةُ: فَقْدُ الشُّعورِ بما حَقُّه أَنْ يُشعَرَ به، وهو أيضًا الذّهولُ عنِ الشّيء، وقيل: متابَعةُ النَّفْسِ على ما تشتَهيه، وغَفَلَ الشّيءَ: سَتَره[3]، والغفلةُ: سَهوٌ يعتري الإنسانَ من قلّة التّحفّظِ والتّيقّظِ[4]، والغفلةُ: غيبةُ الشّيءِ عن بالِ الإنسانِ، وعدمُ تذكّرِه له، وقدِ استُعملَ فيمن تركَه إهمالًا وإعراضًا، والمغفّلُ: الذي ليس له فطنةٌ[5].

والسّهو: أصلُ السّهوِ يدلُّ على الغفلةِ والسّكون، فالسّهو: الغفلةُ،

(1) ابن منظور، لسان العرب، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (فرس).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (غفل).
(4) الراغب، المفردات: (غفل).
(5) الفيومي، المصباح المنير: (غفل).

سَهَا عنِ الشّيء: غفلَ عنه[1]، والسّهوُ: خطأٌ عن غفلةٍ[2]، والسّهو والسّهوةُ: نسيانُ الشّيءِ والغفلةُ عنه (يذهبُ من خلال الذّهن ولا يضبطُه الذّهنُ أو يُمسكُه؛ فتَخلو منه أثناؤه)، وإنّ في السّهو إهمالًا وتراخيًا في ضبط المَسهوِّ عنه، وإمساكِه في القلبِ، ولهذا فالسّاهي مسؤولٌ، وذمُّ السّاهين في الآيتين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١﴾ [الذاريات: 11]، ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: 5] يحقّقُ هذه الملاحظةَ، فمعناه: لاهون غافلون، وسها في الشّيء: تركَه عن غيرِ علْمٍ، وسها عنه: تركَه مع العلْمِ[3].

وقد فرّق بينَهما العسكريُّ فقال: "الفرقُ بين السّهو والغفلةِ أنّ الغفلةَ تكونُ عمّا يكونُ، والسّهوَ يكونُ عمّا لا يكونُ، تقول: غفلتُ عن هذا الشّيء حتى كان، ولا تقول سهوتُ عنه حتى كان؛ لأنّك إذا سهوتَ عنه لم يكنْ، ويجوزُ أنْ تغفلَ عنه ويكون، وفرقٌ آخرُ أنّ الغفلةَ تكونُ عن فعلِ الغير، تقول: كنتُ غافلًا عمّا كان من فلانٍ، ولا يجوز أنْ يُسهى عن فعلِ الغير"[4].

بالإضافة إلى فرقٍ آخرَ وهو أنّ لفظ الغفلةِ: يغلبُ عليه معنى السَّترِ، وتركِ الشّيءِ إهمالًا وإعراضًا من غيرِ نسيانٍ، في حين أنَّ السّهوَ فيه معنى السّكونِ، ويغلبُ عليه النّسيانُ والغفلةُ بسببِ الإهمال والتّراخي في الضّبط.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سهو).
(2) الراغب، المفردات: (سهو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سهو).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 98.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»